مَثَلُه مَثَلُ السّاعة

آياتٌ فُسِّرت بالمهديّ المنتظَر عليه السلام

إعداد: «شعائر»

وردَت في كُتب التّفسير والحديث مجموعةٌ كبيرةٌ من الآيات القرآنيّة المفسَّرة بالإمام المهدي عجل الله فرجه وظهوره، وما سيتحقّق على يده عليه السلام من علوّ الإسلام وانتشاره في أرجاء البسيطة، وبسْط العدل والإنصاف في ربوع الأرض، ويتحدّث بعضها عن الهزيمة التي ستلحق بالكفّار على يد الإمام المهديّ عليه السلام أو على يد النبيّ عيسى عليه السلام الذي سيأتمُّ به ويُساعده في إرساء قواعد العدل وقتْل الظّالمين.

في ما يلي، نتعرّض لعددٍ من هذه الآيات المباركة:

١- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ..﴾ الأعراف:١٨٧.

روي عن الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال (في حديث دِعبِل الخُزاعي): **إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قِيل له: يا رسولَ الله، متى يخرج القائم من ذَريّتك؟ فقال عليه السلام: مَثَلُه مَثَل السّاعة التي لا يُجلّيها لوقتِها إلّا هو، ثَقُلَت في السّماوات والأرض، لا تأتيكم إلّا بغتةً.** [كمال الدين، للصدوق ٢:٣٧٢ حديث ٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، للصدوق ٢:٢٩٧ حديث ٣٥. فرائد السّمطَين، للحموييني ٢:٣٣٧ حديث ٥٩١]

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يونس:٤٨.

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه ذكرَ القائمَ عليه السلام (في حديث، ثمّ قال:) **له غَيبةٌ يرتدُّ فيها أقوامٌ ويَثبُت فيها على الدِّين آخَرون، فيُؤذَون ويُقال لهم: متى هذا الوَعدُ إن كُنتم صادقين؟ أما إنّ الصابر في غَيبته على الأذى والتّكذيب بمنزلةِ المجاهد بالسّيف بين يَدَي رسول الله صلى الله عليه وآله.** [كمال الدين ٢:٣١٧ حديث ٣]

٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ التوبة:٣٣.

❖ رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قرأ الآية، ثمّ قال: **أظهَر بعدُ ذلك؟!**

قالوا: نعم. قال: **كلّا، فوَالّذي نفسي بيدِه، حتّى لا تبقى قريةٌ إلّا ويُنادى فيها بشهادة أنْ لا إله إلّا الله، بُكرةً وعَشيّاً.** [تفسير مجمع البيان ٩:٤٦٤. المحجّة، للبحراني ٨٦]

❖ ورُوي عن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير الآية الكريمة، قال: **يُظهِرُه على جميع الأديان عندَ قيامِ القائم.** [الكافي، للكُلَيني ١:٤٣٢ حديث ٩١. الصراط المستقيم، للبيّاضي ٢:٧٤]

❖ وروى الكنجي الشافعي عن سعيد بن جُبير في تفسير الآية، قال: هو المهديّ من عترة فاطمة عليها السلام. [البيان، للكنجي الشافعي، الباب ٢٥]

❖ وروى الفخر الرّازي عن السدّي أنّه قال: ذلك عند خروج المهديّ، لا يبقى أحدٌ إلّا دخلَ في الإسلام أو أدّى الخَراج. [التفسير الكبير، للفخر الرازي ١٦:٤٠]

٤- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ..﴾ الأنفال:٣٩.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **إنّه لم يجئ تأويلُ هذه الآية، ولو قد قامَ قائمُنا بعده سيرى مَن يُدركه ما يكونُ من تأويل هذه الآية، ولَيبلُغَنّ دينُ محمّدٍ صلى الله عليه وآله ما بَلَغ اللّيلُ، حتّى لا يكون مُشرِكٌ على ظهر الأرض، كما قال الله.** [تفسير العيّاشي ٢:٥٦ حديث ٤٨. تفسير مجمع البيان ٤:٤٦٦]

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ الأنبياء:١٠٥.

رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير ﴿عبادِيَ الصالحون﴾، قال: **القائم عليه السلام وأصحابه.** [تأويل الآيات، لشرف الدين ١:٣٣٢ حديث ٢٢. ينابيع المودّة، للقندوزي، الباب ٧١]

٦- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ..﴾ النور:٥٥.

❖ فقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال (في حديث طويل مع جُندَب بن جُنادة، سأله فيه عن الأوصياء بعده من ذريّته، فقرأ ﷺ الآية، ثمّ قال:)

يا جُندَب! في زمن كلّ واحدٍ منهم (أي من الأئمّة) **سلطانٌ يعتريه ويُؤذيه، فإذا عجّل اللهُ خروجَ قائمِنا يملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلئت جَوراً وظلماً.** ثمّ قال عليه السلام: **طُوبى للصّابرين في غيبتِه، طُوبى للمتّقين على مَحَجّتهم، أولئكَ وصفَهم اللهُ في كتابِه وقال: ﴿الّذينَ يُؤمنونَ بالغَيب..﴾.** [كفاية الأثر، للخزّاز ٦٠]

❖ وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية، قال: **نَزَلَتْ في القائمِ وأصحابِه.** [الغيبة، للنعماني ٢٤٠ حديث ٣٥. ينابيع المودّة، الباب ٧١]

٧- قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ الشعراء:٤.

❖ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **انتظروا الفَرَج من ثلاث.** فقيل: يا أمير المؤمنين! وما هُنّ؟ فقال: **اختلافُ أهلِ الشّام بينَهم، والرّاياتُ السُّودُ من خراسان، والفَزعةُ في شهر رمضان.** فَقِيل: وما الفزعةُ في شهر رمضان؟ فتلا صلواتُ الله عليه الآية، وقال: **هي آيةٌ تُخرجُ الفتاة من خِدرِها، وتُوقظُ النّائم، وتفزع اليقظان.** [عقد الدرر، للشافعي السلمي ١٠٤، الباب ٤، الفصل ٣. تأويل الآيات، لشرف الدين ١:٣٨٧ حديث ٤]

❖ وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه سُئل عن الآية الكريمة، فقال: **نَزَلَت في قائم آل محمّدٍ صلوات الله عليهم، يُنادى باسمِه من السّماء.** [تأويل الآيات ١:٣٨٦ حديث ٢. المحجّة، للبحراني ١٥٩. ينابيع المودّة، الباب ٧١]

❖ وروي عن أبي حمزة الثُّمالي أنّه ذكر هذه الآية فقال: بَلَغَنا -واللهُ أعلم- أنّها صوتٌ يُسمَع من السّماء في النّصف من شهر رمضان، وتخرجُ له العواتقُ من البيوت. [عقد الدّرر ١٠١، الباب ٤، الفصل ٣]

٨- قولـه تعـالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ القصص:٥.

❖ رُوي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **إنّ الله تعالى لم يَبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جَعَل له اثنَي عشر نقيباً** (ثمّ ذكر أسماء الأئمّة عليهم السلام، إلى أن قال:) **ثمّ ابنُه محمّد بن الحسن الهادي المهديّ النّاطق القائمُ بحقّ.. وذلك تأويل الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟.﴾.** [دلائل الإمامة، للطبري ٤٤٧]

❖ ورُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **لَتعطِفَنَّ علينا الدّنيا بعد شِماسها، عَطْفَ الضَّروسِ على وَلَدِها..** ثمّ قرأ الآية. [شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٩:٢٩، الحكمة ٢٠٥. شواهد التنزيل، للحسكانيّ ١:٥٥٦ حديث ٥٩٠]

٩- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف:٦١.

❖ رُوي عن مقاتل بن سليمان أنّه قال في تفسير الآية: هو المهديُّ عليه السلام يكونُ في آخر الزّمان، وبعد خروجِه يكون قيام السّاعة وأماراتُها. [البيان، للكنجي الشافعي، الباب ٢٥. الفصول المهمة، لابن الصبّاغ ٢:١١٢٢]

❖ ورُوي عن ابن عبّاس والضحّاك وغيره في تفسير الآية، قال: هو خروج عيسى ابنِ مريم عليه السلام قبل يوم القيامة. [مسند أحمد ١:٣١٨]

١٠- قوله تعالى: ﴿..لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة:١١٤.

رُوي عن السدّي في تفسير الآية، قال: أمّا خِزيُهم في الدّنيا إذا قام المهديُّ وفُتِحت القسطنطينيّة قَتَلَهم، فذلك الخزي. [تفسير الدر المنثور، للسيوطي ١:١٠٨]

١١- قوله تعالى في عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ آل عمران:٤٦.

رُوي عن ابن زيد قال: قد كلّمهم عيسى في المهد، وسيُكلِّمُهم إذا قَتَل الدجّال، وهو يومئذٍ كَهل. [تفسير الآلوسي، ٣:١٦٤]

١٢- قوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ النساء:١٥٩.

روي عن ابن عبّاس وابن زيد وأبي مالك والحسن البصري: إذا نزل عيسى ابن مريم فقَتَل الدجّال، لم يبقَ يهوديٌّ في الأرض إلّا آمنَ به، قال: وذلك حين لا ينفعُهم الإيمان. [الدرّ المنثور ٢:٢٤١]

وليس هناك تعارض بين كلا التفسيرَين، لأنّ نزول النبيّ عيسى عليه السلام يتزامن مع ظهور الإمام المهديّ صلوات الله عليه في آخر الزّمان.

(المصادر بمعظمها نقلاً عن البرنامج الإلكتروني: مكتبة أهل البيت عليهم السلام، الإصدار الثاني)